وعلى الرغم من ان البيريسترويكا ليست سبباً رئيساً مباشراً من أسباب الخلاف، وقد لا تكون احد موضوعاته الاكثر أهمية، أي الموقف منها، الّا ان «روحها» ظلت هائمة على الخلاف وعلى معظم قضاياه المثارة للصراع؛ كما شكّلت احد الاسلحة الفعّالة التي استخدمها الاتجاه «التجديدي» في صراعه مع الاتجاه «المحافظ»(٩٣).

لقد خرج الاتجاه «التجديدي» بخلافه الى العلن. ونفى صالح رأفت، احد قادة هذا الاتجاه، «التصريحات التي تقول انه لا توجد خلافات فكرية وسياسية في صفوف الجبهة الديمقراطية واقتصار الخلاف على الجانب التنظيمي». وقال ان أعمال دورة اجتماعات اللجنة المركزية للجبهة، التي استمرت لمدة تزيد على اسبوعين، في الجزائر، قُدِّم اليها تقريران: الاول يعبّر عن الاتجاه الذي يقوده الامين العام للجبهة، نايف حواتمة، والثاني يعبّر عن الاتجاه «الوطني الوحدوي والديمقراطي الذي يعبّر عنه الامين العام المساعد، ياسر عبدربه». وقال رأفت ان مجرّد تقديم تقريرين سياسيين وتنظيميين لدليل على ان الخلافات السياسية والتنظيمية كانت قائمة قبل عقد دورة اللجنة المركزية وفي اثناء هذه الدورة. وأكد رأفت «ان هذه الخلافات ما زالت قائمة حتى الآن»(٩٤). أمّا الاتجاه الآخر، فظل حريصاً على عدم خروج أمر الخلاف الى خارج جدران الاطر والمستويات الحزبية، باعتبارها سراً من أسرار التنظيم، وبالتالي فقد أصرّ على انكار وجود الخلافات. لكن المذكرة التي وزعها هذا «الاتجاه» ضد ما نشر في مجلة «اليوم السابع» عن الخلاف داخل الجبهة (١٩/٣/١٩٩٠) تضمّنت تسليماً جزئياً بوجود خلافات، حيث جاء في المذكرة، انه «مهما كانت الخلافات والتباينات في الرأي، سواء في القضايا السياسية، أو التنظيمية، فان هذه التباينات تجد طريقها الى الحل عبر الحوار الديمقراطي والرفاقي داخل أطر الجبهة التنظيمية، وبالمشاركة الشاملة لكوادر وأعضاء الجبهة، بجميع منظماتها داخل الوطن، وخارجه»(٩٥).

ما يعنينا من هذا الامر ان ظهور الخلافات على هذا المستوى من العلنية قد شكّل أول اختراق من نوعه لجدار المركزية الديمقراطية التي ظلت تشكّل المبدأ الموجّه للحياة الداخلية للتنظيم، والتي تمنع تقاليدها، وقواعدها، خروج الرأي الخلافي الى خارج جدران المستويات الحزبية والتنظيم الحزبي.

كان هذا الاختراق احدى العلامات البارزة على دخول البيريسترويكا على خط هدم بعض القواعد والتقاليد التنظيمية القديمة التي أخذ الاتجاه التجديدي، على ما يبدو، على عاتقه القيام بها، حيث قال ياسر عبدربه: «لقد جرى النضال منذ أكثر من عام، وداخل اجتماع اللجنة المركزية الاخير، من اجل ان يكون الحوار الديمقراطي المفتوح داخل صفوفنا. وعلى جميع المستويات، هو القاعدة الرئيسة من قواعد الحياة التنظيمية الداخلية. وبطبيعة الحال، لا يمكن الاكتفاء بمجرد صدور قرار بهذا الشأن. فالنضال من اجل ان يصبح هذا القرار حقيقة واقعة، وان تجرى ممارسته بنزاهة داخل صفوفنا، هو الامر الذي نتمسّك به، ونشدّد عليه. الاختلاف لا يخيفنا؛ فصمّام الامان في وجه أية انشقاقات هو اشاعة الديمقراطية وروح التجديد داخل صفوفنا، وفي علاقتنا مع الجماهير ومع سائر القوى الوطنية؛ أمّا الكبت والتسلّط وممارسة كل أشكال التزييف، وطمس جوهر الخلافات، والادعاء بالوحدة الظاهرية، فهي التي تشجع على نشوء التكتلات، بل وتقود الى انقسامات مدمّرة». ورأى عبدربه «ان ادخال الديمقراطية والتجديد الى حياتنا الداخلية، لا يقتصر فقط على الحقوق التي تشمل الانتخابات واحترام رأي، ودور، القاعدة الحزبية، والغاء مظاهر السيطرة البيروقراطية التي يمكن